الأصمعي ومقولة (نَكَد الشعر)، قراءة في مشاكسة النص وصدمة التلقي

Al-Asma'i and the saying "hardship of poetry" Read in the text dispute and shock reception

د. بوعلام بوعامر

مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري

جامعة غارداية

boualemaboumarouan06@gmail.com

تاريخ الإرسال:2018/09/23	تاريخ المراجعة: 2018/12/06	تاريخ القبول: 2019/05/15

ملخص البحث

تتلخص فكرة هذا المقال في الرأي النقدي المأثور عن عالم اللغة الشهير، والعارف بأيام العرب وأخبارها وأنسابها: الأصمعي عبد الملك بن قُريب ومن أيده، والذاهب إلى أن الشعر نَكِد، مجاله الشر الذي يجد فيه قوته، فإذا دخل في الخير أصابه الضعف؛ وترتبت على ذلك قراءة لرأيه، ذهبت إلى أن الشعر ضَعُف بمجيء الإسلام، بما أنه الدين الداعي إلى الخير . وهو الرأي الذي تضمنته تصريحا مقولة مشهورة عن الأصمعي، كانت مقولة جريئة، لاسيما في العصر الذي واكبته، العصرِ الذي ساد فيه الدين الجديد الحياةَ، وغلب على الذوق والفكر، وهو ما شكّل مفاجأة، بل صدمة لدى بعض المتلقين قديما وحديثا، بسبب أداة التلقي غير المناسبة التي استقبلوا بها المقولة، وسوء تصورهم لفحواها، وربما زاد من شدة الصدمة عندهم، وعمّق أثرها في أنفسهم أن صاحبها معروف عنه التشبع بروح الإسلام، والورع، والاستقامة.

الكلمات المفتاحية : أصمعي، نكد، شعر، صدمة، تلق.

Abstract:

The idea of this article is summed up in the famous critical opinion of Al-Asma'i, He sees that the subject of poetry is evil, and if it speaks in good, it is weak.

Key words: Asma'i, hard, Poetry, shock, Receive.

أولا- مدخل:

حفل النقد العربي القديم بقضايا كثيرة ومتنوعة، كقضية اللفظ والمعنى، والقدماء والمحدثين، والطبع والصنعة، والمنظوم والمنثور، والسرقات، والانتحال، وقد اتخذت في غالبها شكل الثنائيات المتضادة وهو ما يدل على طابع الصراع والتدافع الذي شكّل ملمحا مهما من ملامح التحول في العصر العباسي الذي تكرست فيها تلك القضايا.

وقد كانت تلك القضايا من التعدد والتعقد والتداخل ما جعل منها شبكة من العلاقات الرابطة بين حقول فكرية كثيرة، وجسرا واصلا بين ضفافٍ من الثقافة متباعدةٍ، إذ التقى فيها الأدبي واللغوي، والديني والفكري والفلسفي. كما تفاضل فيها الشعري والنثري، وتحاجّ فيها العربي والشعوبي، وتزاحم الأصيل والوافد، وغير ذلك من ألوان وصنوف عملت على تمييز ذلك العصر بلوح فسيفسائي منقطع النظير.

كما كان حظ نقدنا القديم غير قليل من المفهومات التي انبنت على أفكار نقدية أصيلة ودقيقة، ذهبت تتعمق مع الزمن، ويشتد عودها من كثرة الأخذ والرد، حتى استوت نظريات قائمة بذاتها، كمفهوم عمود الشعر الذي ابتدأ مع أبي القاسم **الآمدي** (ت. 370) مصطلحا لينتهي مع أبي علي **المرزوقي** (ت. 421) نظرية مكتملة المعالم ثابتة الأصل، متناسقة الفروع، بكل ما يحمله مفهوم النظرية من وضوح في الرؤية، وعمق في البحث، ودقة في التعبير. إضافة إلى مفهومات أخرى غير عمود الشعر كالفحولة والطبقات.

وقد كان من ضمن الأفكار النقدية التي غنِي بها النقد العربي القديم مقولة نكد الشعر وربطه بالشر، الذي تنبني عليه مقولة ضعف الشعر إذا دخل الخير، وما يلحق بها –بالضرورة- من اعتقاد ضعفه في الإسلام بما أنه الدين الداعي إلى خير الدنيا والآخرة؛ وهي مقولة خطيرة يمكن تصنيفها مع تلك المقولات الصادمة التي لها فعل الحجر الذي يلقى في الماء الراكد فيحركه كما وصف بعض النقاد مقولة الدكتور **طه حسين** في العصر الحديث، ومنهج الشك الذي بحث به مسألة صحة الشعر الجاهلي، وعالج قضية النُّحل والانتحال فيه.

ثانيا- الإسلام والشعر:

وقبل طرح القضية تجدر الإشارة إلى موقف الإسلام من الشعر، والذي كان موقفا عمليا ينصرف إلى النظر في القيمة المضافة خلقيا، والتي يمكن أن يقدمها الشعر إلى المجتمع الجديد المراد

بناؤه على أسس قيم جديدة، كما كان موقفا وظيفيا يتمثل في ما يحققه الشعر من إسهام في تبليغ الرسالة الجديدة، طبعا من غير إغفال للقيمة الجمالية أو إهدار للفن إذا ما توفر المطلب الأول. لذلك اهتم الإسلام الحنيف بالشعر، وبيان موقفه منه، وتجلى ذلك الموقف في سورة كاملة حملت تسمية الشعراء، وما هو إلا إقرار بما لهم مقدرة على التأثير، وسلطان على جمهور عظيم.

ولم يكن وكْد القرآن الكرم في بيان موقفه من الشعر –كما هو شأنه في غالب الأحكام- الخوض في التفصيلات، والتوسع في التفريعات، فاكتفى من ذلك كله بالتحذير من فتنة القول التي تدفع الشعراء –عادة- إلى التهيام في أودية القول بغير مرشد من خلق، أو بوصلة من دين، وهو ما يحمل –ولا شك- على الكذب والغلو مدحا أو هجاء.

ثالثا- الأصمعي والبدايات:

من مقولات النقد العربي القديم المأثورة، والمثيرة للجدل مقولة **الأصمعي** عبد الملك بن قُريب (ت. 216 هـ ؟) التي جاء فيها قوله:" الشعر نكِدٌ بابُه الشر، فإذا دخل في الخير ضَعُف، هذا **حسان بن ثابتٍ** فحلٌ من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره، وقال مرة أخرى: شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر، فقُطع متنه في الإسلام، لحال النبي صلى الله عليه وسلم".

وهي مقولة تجعل من **الأصمعي** صاحب رؤية نقدية أصيلة، وبصَر بالشعر عميقٍ، وفرادة في النظر متميزة، تضاف إلى ما عرف به من تبحر في اللغة، وسعة في الرواية، وعبقرية في الحفظ، وأمانة وثقة جعلته مرجعية يُحتكم إليها في ما شجر من خلاف في صحة خبر أو أصالة شعر دفعت إليه قلة علم، أو تعمد وضع وانتحال. هذا بصرف النظر عما تتضمنه مقولته في ضعف الشعر الإسلامي من صحة أو خطإ، أو تسرع وتعميم.

وقد تولى الأصمعي نفسه شرح "النَّكِد" إذ قرنه بالشر، وهو ما يؤيده المعنى اللغوي، إذ هو صفة مشبهة من "النَّكَد" الذي هو " ... الشؤم واللؤم، نَكِدَ نَكَدًا، فهو نَكِدٌ ونَكْدٌ وأَنْكَدُ، وكل شيء جر على صاحبه شرا، فهو نَكَدٌ ..."[1].

ولازم هذا أن الشعر تربة مشؤومة، ومنبت خبيث لا يخرج نباته إلا نكدا، وهواء وخيم لا يسمح بنمو الفضيلة، وتفتح أزهار الخير.

رابعا– شواهد وأنصار:

الحق أن الأصمعي لا يعدم في رأيه هذا أنصارا يذهبون مذهبه، وشواهد تقوي موقفه، حتى ليظن الباحث أن الأصمعي لم يزد على أولئك الأنصار إلا أنه كان أكثر جرأة منهم، وأوضح عبارة في صياغة رأيه صياغة تتقترب معها من مستوى النظرية النقدية، وربما زاد عليهم أيضا في كونه أسبق زمنيا من أكثرهم.

فخصوم الشعر ليسوا من القلة بحيث يخفَون، ولا هم من ضعف الشخصية بحيث يترددون، بل فيهم من النقاد وكبار المنشئين والكُتاب من هو إمام في فنه، وعلَم في سبيله، ومنهم من هو مؤسس مدرسة، وناهج طريقة.

والملاحظ أن سواد هؤلاء الخصوم كان يكثر ويزداد، طردا مع تأخر عصور تاريخ الأدب العربي، حتى يبلغ الأمر أقصاه مع عصور الضعف أو عصور الدول المتتابعة، ويجد ذلك تفسيره في الوهن الذي أصاب مفاصل الشعر في هذه العصور، لأسباب منها تمكن العجم من حكم غالب بلاد العرب، وأكثرهم بقي في معزل عن العربية استعلاء فأهملوا الشعر، وأقصوا أربابه، فكسدت سوقه وصار بضاعة مزجاة، ووجد النثر الذي كان لغير العرب فيه يد واضحة فرصة سانحة للتوسع والتمكن.

من هنا تشجعَ خصوم الشعر، وكثرت حججهم عليه، وتنوعت، فجمعت بين الخلقي والفني والاجتماعي، ولعل من أكثر النقاد والأدباء جمعا وإحصاء لها القلقشندي (ت. 821 هـ)، الذي ذهب يفصّل عيوب الشعر في مقارنة بينه وبين النثر، فزعم أن النثر "... أرفع منه درجة وأعلى رتبة وأشرف مقاما وأحسن نظاما إذ الشعر محصور في وزن وقافية يحتاج الشاعر معها إلى زيادة الألفاظ والتقديم فيها والتأخير وقصر الممدود ومد المقصور وصرف ما لا ينصرف ومنع ما ينصرف من الصرف واستعمال الكلمة المرفوضة وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها وغير ذلك مما تُلجىء إليه ضرورة الشعر فتكون معانيه تابعة لألفاظه والكلام المنثور لا يحتاج فيه إلى شيء من ذلك فتكون ألفاظه تابعة لمعانيه ويؤيد ذلك أنك إذا اعتبرت ما نقل من معاني النثر إلى النظم وجدته قد انحطت رتبته ... "[2].

خامسا- خصوم وردود:

لا نعدم في تراثنا الأدبي والنقدي، نقيض القضية التي صدر عنها الأصمعي، ولا نخطئ أفكارا وآراء تردّ عليها ردا مباشرا أو غير مباشر، وهي مواقف شارك النقادَ فيها نفر من الشعراء أنفسِهم، مثل أبي تمام المنافح عن الشعر ووظيفته الرسالية ببيته الخالد:

ولولا خِلالٌ سَنَّها الشِّعْرُ ما دَرَى بُغاةُ النَّدَى مِنْ أَيْنَ تُؤتَى المكارمُ[3]

وما من شك في أن الشعر الذي يسنّ الخلال التي تهدي بغاة الندى إلى المكارم هو شعر الخير؛ ويدافع ابن رشيق القيرواني عن خيرية الشعر في أول باب من كتابه "العمدة" بخبر يرفعه مكانا عليّا فقد "... حكى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري أن كعب الأحبار قال له عمر بن الخطاب –وقد ذكر الشعر-: يا كعب، هل تجد للشعراء ذكرا في التوراة ؟ فقال كعب: أجد في التوراة قوما من ولد إسماعيل أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال لا نعلمهم إلا العرب"[4].

وقد خاض ابن رشيق بعد ذلك في عيوب الشعر، وفصّل فيها، وفرّعها، مستقصيا المعاني والألفاظ، والأوزان والقوافي، والتكلف والطبع، فما ذكر منها ضعفه بسبب محمولاته من الخير، وقيم الدين، بل العكس هو الظاهر من غالب كلامه.

ويصل الأمر بالمظفر بن الفضل العلوي (ت. 656 هـ) أن يصنف كتابا كاملا هو "نَضْرة الإغريض في نُصرة القريض" يدفع فيه التهم عن الشعر، وينصره بقوله:" أما الشعرُ فإنه ديوان الأدب، وفخر العرب، وبه تُضرَب الأمثال، ويفتَخِر الرّجالُ على الرجال، وهو قيدُ المناقبِ ونظامُ المحاسنِ، ولولاهُ لضاعَتْ جواهرُ الحِكَم، وانتثرت نجومُ الشّرَفِ، وتهدّمتْ مباني الفضل، وأقوَتْ مرابعُ المجدِ، وانطمسَتْ أعلامُ الكَرمِ، ودرَستْ آثارُ النِّعَم. شرَفُه مخلّدٌ، وسُؤدُدُه مجدّدٌ، تَفْنى العصورُ وذِكرُه باقٍ، وتهوي الجبالُ وفخرُه الى السماء راقٍ، ليس لما أثْبَتَه ماحٍ، ولا لمَن أعذَرَه لاحٍ"[5].

فالشعر عند المظفر العلوي سِجلّ قُيدت فيه المناقب، وحفظت الحِكم، كما أنه معرض للأمثال، ولا ضرر عليه بسبب ذلك، ولا خوف من أن يستبد به ذلك المحتوى الخلقي الخيّر، فيخنق فيه روح الجمال، ويحبس أنفاس الصياغة، وما يجب لها من طلاوة تصوير، وبلاغة تحبير.

وفي العصر الحديث رفض الدكتور شوقي ضيف مقولة الأصمعي ومن تابعه فيها، وواجههم بأدلة وحجج أبرزها اثنتان، الأولى شعْر من بقي على شركه من شعراء ذلك العصر، والثانية كثرة الشعر الذي نظمه جمع من الصحابة في المغازي، ومواقف أخرى مشابهة لها، والذي حفلت به كتب المغازي والسير والموسوعات الأدبية، غير أن ذلك لا يقوى على توهين ما ذهب إليه الأصمعي.

فالحجة الأولى أقرب إلى أن تكون دليل إثبات منها إلى أن تكون دليل نفي، ذلك أن شعر المشركين سيكون قطعا في خانة الشر لا سيما ما تعلق منه بهجاء المسلمين، وأما شعراء الصحابة رضي الله عنهم فهو شعر جمهور غير متخصص، وإنما كان مستند الأصمعي على شعر الفحول المتخصصين كحسان بن ثابت الذي ضَرَب المثلَ به.

ولا يخفى نزول شعر حسان بن ثابت في الإسلام عما عرف من شعره في الجاهلية، وهي حقيقة لفتت نظر نقاد قدماء غير الأصمعي، حتى إن بعضهم حاول التماس تفسير ذلك في سبب له شواهده التاريخية، يتمثل في دس قريش أشعار رديئة ليست له في شعره، ونحلها له انتقاما منه لهجوه لها قبل أن يعمها الإسلام، ولا بد أن يكون ذلك بعد وفاته، وهو ما يعبر عنه ابن سلام صراحة بقوله :" ... وهو كثير الشعر جيده، وقد حُمِل عليه ما لم يُحمل على أحد. لمَا تعاضهت قريش واستبّت، وضعت عليه أشعارا كثيرة لا تُنَقّى"[6].

وهو رأي شايعه الدكتور شوقي ضيف، وأكده بقوله :" ... والحق أن شعر حسان كثر الوضع فيه، وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة وهلهلة، لا لأن شعره لان وضعف كما زعم الأصمعي، ولكن لأنه دخله كثير من الوضع والانتحال ..."[7].

ويضيف بطرس البستاني سببا آخر لا يخلو من وجاهة، وهو جنوح حسان إلى الارتجال في مواقف يجد نفسه فيه بعد إسلامه دفاعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن الإسلام يقول :" ... وإذا كان شعره زاد لينا في الإسلام وأسَفَّ أحيانا، فلخلوّه من براعة الوصف، ومن الصور الخيالية الرائعة، ثم لاعتماد الشاعر على الارتجال أكثر منه على التحكيك والتنخّل، فكثر في شعره الكلام الساقط، والإقواء، والتوجيه ..."[8]؛ على أن الدارس لا يعدم حججا أقوى، وشواهد أظهر مستمدة من واقع الشعر العربي نفسه، وسير تطوره من عصر إلى آخر.

سادسا- شعر الزهد والتصوف دليل نفي:

لعل من أقوى تلك الحجج والشواهد شعر الزهد والتصوف، الذي لن يجد الباحث برهانا في قوته يرد به مقولة نكد الشعر وقوةِ عُوده في الشر، ففي هذا الشعر من روعة الأسلوب، وعذوبة اللفظ، وجمالية التصوير، وعبقرية الإحساس عدل ما فيه من خير ومُثُل وأخلاق أو يزيد، وهو ما يثبت أن الشعرية ليست المقابل الحتمي لقيم الخير أيا يكن مصدرها، ولشاعر الزهد الأشهر في الأدب العربي، والأغزر شعرا، **أبي العتاهية**، شعر كثير لا تخطئه جمالية الفن الراقية، ورونق التصوير كقوله:

يا أَيُّها الحَيُّ الَّذي هُوَ مَيِّـتُ أَفنَيتُ عُمرَكَ في التَعَلُّلِ وَالمُنى[9]
أَمّا المشيبُ فَقَد كَساكَ رِداؤُهُ وَابتَزَّ من كتفيك أَرْدية الصِبــا
خالِفْ هَواكَ إِذا دَعاكَ لِرَيبَـةٍ فَلَرُبَّ خَيرٍ في مُخالَفَةِ الهَــوى

وتقف زهديات معاصره **أبي نواس** مَعلما بارزا في طريق تطور جمالية الشعر الإسلامي، الذي لم يمنعه تضمنه الخير والقيم الدينية أن يكون قمة في الجمال الفني، وغاية في سحر البلاغة، حتى إن أبا نواس لم يكد يخسر بسببه مثقال ذرة من تفوقه وعبقريته الشعرية التي كانت له في خمرياته، بل إنه زاد شعرَه على ذلك نبلَ الموضوع، وسموّ المضمون، وحقق له قيمة مضافة. فمن ذا الذي لا يهتز وجدانه ؟ وتتسامى روحه وتطرب أذنه وهو يسمع قوله:

أَيا رُبَّ وَجهٍ في التُرابِ عَتيــقِ وَيا رُبَّ حُسنٍ في التُرابِ رَقيــقِ[10]
وَيا رُبَّ حَزمٍ في التُرابِ وَنَجــدَةٍ وَيا رُبَّ رَأيٍ في التُرابِ وَثيــقِ
أَرى كُلَّ حَيٍّ هالِكا وَابنَ هـالِكٍ وَذا نَسَبٍ في الهالِكينَ عَريــقِ
فَقُل لِقَريبِ الدارِ: إِنَّكَ ظاعِـنٌ إِلى مَنزِلٍ نائي المَحَلِّ سَحيــقِ
إِذا امتَحَنَ الدُنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَت لَهُ عَن عَدوٍّ في ثِيابِ صَديــقِ

ومثل شهر الزهد في ذلك أو أقوى دلالةً شعرُ التصوف، شعر الحب الإلهي، الذي هو من أغنى أغراض الشعر الوجدانية قيما روحية، وأحفلها بالخواطر المتخلجة، والأحاسيس السامية. كما أنه -من حيث الصنعة والتشكيل- من أثرى فنون الشعر وسائلَ تعبير، وتقنياتِ تصوير، وأوسعها معجما، وأكثرها مفرداتٍ موحية، وفيه ما فيه من أساليب مفعمة بالإشارة، مكتنزة بالدلالة، وإن كان في هذه الوسائل يتكئ كثيرا على معجم الغزل العذري الذي له يد بيضاء عليه

غير خافية.

والشواهد على هذا أكثر من أن تحصى، منها قول **الحلاج**:

والله لو حلَف العُشّاق أنّهـــــم مَوتى من الحبِّ أو قتلى لما حَنِثـوا[11]

قومٌ إذا هجروا من بعدِ ما وصلوا ماتوا وإن عاد وصلٌ بعده بُعثـــوا

ترى المحبين صرعى في ديارهـــم كفِتْية الكهف لا يدرون كم لبثوا

وقوله مستخدما جماليات اللغة في البديع والازدواج:

لي حبيبٌ أزور في الخلواتِ حاضرٌ غائبٌ عن اللحظـاتِ[12]

ما تَراني أُصغي إليه بسِـرّي كي أعي ما يقول من كلمات

كلماتٌ من غير شكلٍ ولا نَقْـطٍ ولا مثلَ نَغْمة الأصــوات

حاضرٌ غائب قريبٌ بعيـدٌ وهْو لم تَحْوِهِ رُسومُ الصفـــاتِ

وقول **ابن الفارض**:

سائقَ الأظعان يطوي البِيد طيْ مُنْعِما عرّجْ على كثبان طــــيْ[13]

وبذاتِ الشِّيح عنّي إنْ مَـــرَرْ تَ بحيٍّ مِنْ عُرَيبِ الجِزْعِ حَـــيْ

وتَلطّفْ وَاجْرِ ذكري عِنـدهمْ عَلَّهُمْ أنْ يَنْظُروا عطفًا إلــــي

يا أُهيلَ الوُدِّ أنّى تُنْكِـــــرُو نِيَ كَهْلا بَعْدَ عِرفاني فُتَـــــي

وَضَعَ الآسي بصَدري كَفَّـــهُ قالَ ما لي حيلةٌ في ذا الهُـوَي

أوعِدوني أو عِدوني وامطُلـــوا حُكْمُ دِينِ الحُبّ دَينُ الحِبِّ لَي

كُحِلَتْ عَيني عَمىً إنْ غَيْـرَها نَظَرَتْهُ إيهِ عَنّي ذا الرُّشَـــــــي

والشواهد والأمثلة أكثر من هذا بكثير، وكل ذلك دليل على خلاف ما ذهب إليه الأصمعي، فالخير في ذاته ليس سببا في ضعف الشعر، ولينه، كما أن الشر في ذاته ليس سببا كافيا لقوة الشعر، وازدهاره، فإذا اجتمع للشاعر الموهبة الأصيلة، والمقدرة الفنية، وتوقد الإحساس، وأوتي ما يجب من قوة الشخصية، والتأثير في المتلقين استطاع أن يجعل من الخير مادة صالحة للشعر يتفوق فيها، ويحلق في سماء الإبداع ويبذ بها غيره.

والعكس صحيح إذا عدم تلك المؤهلات، لن يكون تغنيه بالشر عندئذ ذا جدوى عليه في سوق الفن، مهما أوغل فيه، ولن تنفق بضاعته ولو عرضها على المتبطلين الخائضين في اللهو والضلال، وهذا أمر يصح القياس عليه في كل أشكال الفن.

فوصف الخمر التي هي أم الخبائث في حكم الشرع، وميزان الأخلاق، لم يفلح فيه، وفي ذكر مجالس الشَّرب، وتصوير حال الندامى كثير الشعراء، ولم يجروا فيها مجرى أبي نواس، ولم يتعلقوا به، حتى بعض الفحول **كطرفة بن العبد** في قوله:

فإذا ما شَرِبوها وانْتَشَوا وَهَبُوا كُلَّ أَمُونٍ وطِمِرّْ[14]

فقد عاب عليه العلماء أنه جعل كرم نداماه غير أصيل، وليد السكر والثمالة،" ... يهبون عند الآفة التي تدخل على عقولهم ..."[15] . والهجاء، وهو في غالبه أوحد أوجه الشر، لم يُكتب فيه النجاح لبعض الشعراء وكبار الرُّجّاز، كالعجاج الذي قيل له: "إنك لا تُحسن الهجاء"، فقال: "إن لنا أحلامًا تمنَعُنا من أن نَظلِم، وأحسابًا تمنَعُنا من أن نُظلَم، وهل رأيتَ بانيًا لا يُحسن أن يهدِمَ؟"[16]، وجواب العجاج إنما هو من باب أسلوب الحكيم، المقصود به التخلص من الحرج، وإلا فإن الهجاء بناء هو أيضا من حيث الفن والصياغة.

من هنا ما من حاجة إلى مواجهة مقولة الأصمعي بأكثر مما يجب لها، ذلك أن كثيرا من الردود عليها اتسمت بحساسية مفرطة، وإساءة ظن بالأصمعي، وتعريض به، لاسيما للمتحمسين الذي قدّروا أن في رأيه اتهاما للإسلام الحنيف بمعاداة الفن وتسببه في ضعف الشعر، مع أن الأصمعي معروف بصحة دينه، وورعه، وعدالته، وصدقه.

على أن الدارس لا يسعه أن يغض الطرف عما في مقولته من زلل وخطإ، دافعه إليه الاشتباه والقياس الخادع، والدليل الاقتراني الذي عادة ما يكون سببا في الاجتزاء والسطحية، ونعني به تزامن ضعف شعر بعض الفحول مع ظهور الإسلام، فقد رأينا سمو شعر الزهد والتصوف فنيا في العصر العباسي، وهو ما يعني بأن السبب كان مسألة وقت يتطلبه تحول الشعرية العربية من عصر جاهلي له طوابعه، إلى عصر إسلامي له طوابعه المغايرة، بل المناقضة في كثير من الأحيان، وهو ما حدث لاحقا في العصر العباسي الذي نضج فيه شعر الزهد والتصوف، وهو المثال الأسمى لشعر الخير فيكون خطأ الأصمعي كامنا في تسرعه وتعميمه بجعل الشر مادة قوة الشعر في مطلق الأحوال.

خاتمة:

كان **للأصمعي** بهذه المقولة من السبق ودقة الحس ما يجعله أكثر من راوية شعر ثقة، وعالِم لغة متضلع، فهو بذلك ناقد شعر بصير، وعالم خبير بالتحولات الزمانية والثقافية التي تؤثر في الأدب وتنتقل به من طور إلى آخر، ومدركٌ لطبيعة الإبداع الشعري بوصفه فنا له خصوصياته النوعية، وإكراهاته النفسية التي توجهه.

كما كان له من الجرأة ما تتطلبه شخصية الناقد من شجاعة وإيمان بما يراه صوابا، مهما كانت ردة فعل متلقي نقده، واستطاعت فكرته أن تدفع حركة الفكر النقدي إلى مزيد بحثٍ وتأمل لم يقتصر على النقاد القدماء، بل تجاوزهم إلى النقاد والدارسين المحدثين الذين كان تناولهم لرأيه تحليلا ومناقشة أكثر من تناول القدماء، لاسيما مع ظهور الاتجاه المسمى حديثا بالأدب الإسلامي.

هوامش:

---

1 ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط. 6، 1417 هـ / 1997 م، مادة (نكد).

2 القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340 هـ / 1922 م، ج.1، ، ص. 58-59.

3 أبو تمام: الديوان، تح. محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط. 5، 2006 م، ج. 3، ص. 183.

4 ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط. 1، 1422 هـ / 2001 م، ج.1، 16.

5 المظفر بن الفضل العلوي: نضرة الإغريض في نصرة القريض، تح. نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، ط. 2، 1416 هـ / 95 م، ص. 293.

6 ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تح. محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د. ت. ج.1، ص. 215.

7 شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط. 6، 1974 م، ص 81.

8 بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار الجيل، بيروت، 1989 م، ص. 280.

9 أبو العتاهية: الديوان، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2004 م، ص. 32-33.

[10]أبو نواس: الديوان، تح. أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1، 1423 هـ / 03 م، ، ص. 466.

[11]الحلاج: الديوان، ومعه أخبار الحجاج، وكتاب الطواسين، حواشي وتعليق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1419 هـ/ 98 م، ص. 127.

[12]المرجع نفسه، ص. 126.

[13]ابن الفارض: الديوان، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 2، 1426 هـ / 05 م، ص. 199-219.

[14]طرفة بن العبد: الديوان، دار بيروت، لبنان، 1399 هـ / 1979 م، ص. 55، وفيه اختلاف مع بعض المصادر في مكان صدر البيت.

[15]المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح. محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1415 هـ / 1995 م، ص. 73.

[16]ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تح. أحمد محمد شاكر، دار الآثار، القاهرة، ط. 1، 1431 هـ / 2010 م، ج.1، ص. 91.